الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي في تفسيره "بحر العلوم" إلى عامة أو أكثر المفسرين، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف "جمعًا ودراسة"

د/ فهد بن عبدالمنعم صقير السُّلمي
أستاذ مشارك بقسم علوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية – جامعة جدة

مستخلص البحث

يتناول البحث جمع ودراسة الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، وقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على أقوال المفسرين الذين سبقوا الإمام السمرقندي والذين عاصروه ومن أتى بعده، وبيان حججهم وأدلتهم في المسائل موضوع الدراسة، وقد قسّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس، ففي المقدمة بيانٌ بأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطّة البحث، وحدود البحث، والمنهج المتّبع في البحث، وفي التمهيد: التعريف بالإمام السمرقندي (بإيجاز)، والتعريف بتفسيره "بحر العلوم" (بإيجاز)، وفي المبحث الأول: منهج الإمام السمرقندي في نسبة الأقوال إلى المفسرين، وطرق عرضه، من خلال البحث موضوع الدراسة، وفي المبحث الثاني: دراسة الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين، وفيه اثنتا عشرة مسألة، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:

(منهج- طرق- عامة- أكثر - جمهور)

The Sayings Attributed by Imam Al-Samarqandi in his ExegesisEntitled"Bahr Al-Ulum" to All or Most of Exegetes, from the Beginning of Surat Al-Fatihah to the End of Surat Al-Kahf

"Collective Study"

Dr. Fahd bin Abdul-Moneim Suqair Al-Sulami –
University of Jeddah

This research collects and studies the sayings attributed by Imam Al-Samarqandi to all or most of the exegetes from the beginning of Surat Al-Fatihah to the end of Surat Al-Kahf. The study aimed to identify the sayings of the exegetes who preceded Imam al-Samarqandi, his contemporaries and those who came after him, and to clarify their arguments and evidence regarding the subject of the study. The research consists of an introduction, a preface, two topics, a conclusion and bibliographies. The introduction handles the importance of the subject and the reasons for choosing it, previous studies, research plan, research limits, and research methodology. The preface gives an overview for Imam al-Samarqandi, and the his Exegesis entitled "Bahr al-Ulum". The first topic handles the approach of Imam al-Samarqandi in attributing sayings to the exegetes, and the methods of his presentation, through this research. The second topic studies the sayings attributed by Imam al-Samarqandi to all or most ofexegetes including twelve issues, then the conclusion, which includes the significant findings and research recommendations.

Keywords:

(Methodology - Methods –All –Most of–Majority of Scholars).

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا يُنير قلوب عباده المتقين، وهدىً ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على قدوة المتقين وسيد الخلق أجمعين، نبينا محمد صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإنّ علم التفسير من أجلّ العلوم وأنفعها؛ لعلاقته المباشرة بكتاب الله عز وجل، فهو علمٌ ذو مقامٍ جليل بين العلوم، ومنزلةٍ رفيعةٍ بين العلوم الشرعية خصوصًا، والعلوم الأخرى عمومًا، فمن خلاله نفهم كلام الله تعالى، ونعرف المقصد من وراء كلامه، ومن خلاله نتعلّم التشريعات والأحكام، ونقف على الحلال والحرام، وهو العلم الذي يغوص في أعماق كتاب الله ليُخرج لنا درره ومكنوناتِه، فما أشرفه من علمٍ وما أجلّه، وإنّ من أعظم ما يمُن الله به على عبده أن يهيئ له فرصة العيش في رحاب كتابه الكريم، والتزود من معينه الذي لا ينضب، ولقد منّ الله عليّ بأن أعيش مع كتابه ومع طائفةٍ من علماء الأمة المفسرين، أستنير بعلمهم وانتفع به، ومن هولاء الأعلام، المفسر الجليل الإمام أبو الليث، نصر بن محمد السمرقندي، فقد نسب أقوالاً كثيرة لعامة، أو أكثر المفسرين، في تفسيره "بحر العلوم" فأحببت دراسة هذه الأقوال، فاستعنت بالله وجعلت عنوان بحثي: الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي في تفسيره "بحر العلوم" إلى عامة، أو أكثر المفسرين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف "جمعًا ودراسة".

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث وأسباب اختياره في التالي:

1) تعلّق موضوع البحث بالقرآن الكريم.
2) الوقوف على الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين، ومراجعتها، مع بيان الأقوال المخالفة وأدلتها.
3) بيان أدلة الأقوال المنسوبة إلى عامة، أو أكثر المفسرين، وتجليتها.
4) إثراء المكتبات الإسلامية بالأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تناولت دراسة الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين.

خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس، على النحو التالي:

المقدمة وفيها:

- أهميّة البحث وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- حدود البحث.
- منهج البحث.

التمهيد، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالإمام السمرقندي (بإيجاز)
- المطلب الثاني: التعريف بتفسيره "بحر العلوم" (بإيجاز)

المبحث الأول: منهج الإمام السمرقندي في نسبة الأقوال إلى المفسرين، وطرق عرضه، من خلال البحث موضوع الدراسة، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: منهجه في نسبة الأقوال إلى عامة، أو أكثر المفسرين.
- المطلب الثاني: طرق عرضه في نسبة الأقوال إلى عامة، أو أكثر المفسرين.

المبحث الثاني: دراسة الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين، وفيه اثنتا عشرة مسألة :

- **المسألة الأولى:** الهيئة التي أُنزل عليها طائر السلوى من السماء، في قوله تعالى: **{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}**[سورة البقرة:57].
- **المسألة الثانية:** القول بالنسخ في قوله تعالى:**{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**[سورة النساء:140].

- **المسألة الثالثة:** القول بالمجاز في تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام، في قوله تعالى:**{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**[سورة النساء:164].
- **المسألة الرابعة:** المراد "بالنصارى" في قوله تعالى:**{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}**[سورة المائدة:82].
- **المسألة الخامسة:** حقيقة نزول المائدة، في قوله تعالى:**{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**[سورة المائدة:114].
- **المسألة السادسة:** معنى: "الآلاء" في قوله تعالى:**{فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[سورة الأعراف:69].
- **المسألة السابعة:** شخصية فرعون المعنية في قوله تعالى:**{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}**[سورة الأعراف:103].
- **المسألة الثامنة:** القول بتقديم "الناس" في قوله تعالى:**{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ}**[سورة يونس:1، 2].
- **المسألة التاسعة:** المراد "بالزيادة" في قوله تعالى:**{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }**[سورة يونس:26].
- **المسألة العاشرة:** المعني بفاعل "شروه" في قوله تعالى:**{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}**[سورة يوسف:20].
- **المسألة الحادية عشر:** المعني بـ "موسى" في قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ}** **[سورة الكهف: 60].**
- **المسألة الثانية عشر:** المراد "بالنفخ" في قوله **{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [سورة الكهف: 99].**

حدود البحث:

يتناول البحث دراسة أقوال المفسرين الذين سبقوا الإمام السمرقندي، والمعاصرين له، ومن أتى بعده، للأقوال التي نسبها إلى عامة، أو أكثر المفسرين، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف.

منهج البحث:

اتّبعتُ في دراسة هذا البحث المنهج الإستقرائي والوصفي في عرض أقوال المفسرين الذين سبقوا الإمام السمرقندي، وتتمثل أهم مفردات وخطوات المنهج المتبع في التالي:

1) دوّنت في الحاشية اسم الكتاب الذي يرد للمرة الأولى كاملاً، وإذا تكرر اكتفيتُ باسم الشهرة للكتاب، ورتبتُ أسماء الأعلام في الحاشية الواحدة حسب الأقدم وفاةً.
2) اعتمدتُ على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية مع ذكر اسم السورة ورقم الآية بعدها مباشرة.
3) ضبطتُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ بالشكل.
4) عرّفتُ بالكلمات الغريبة التي تحتاج إلى تعريف.
5) خرَّجت الأحاديث تخريجًا علمياً موجزًا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بهما، وإن لم أجده فيهما فمن بقية الكتب الستة، فإن لم أجدهُ فيها فمن غيرها من كتب السنة، مراعيًّا عدم الإطالة، مع بيان درجة الحديث من خلال ذكر كلام بعض المتقدمين وكلام بعض المتأخرين، كل ذلك بإيجاز يفي بالغرض ولا يخل بالمقصود.
6) قسّمت المبحث الثاني إلى مسائل، ووضعت عنوانًا لكل مسألة.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع.

فهرس الموضوعات.

وأسأل الله تعالى التوفيق والمعونة، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام السمرقندي (بإيجاز).

❖ **اسمه، ونسبه، ومولده، ووفاته:**

هو الإمام الفقيه المحدث الزاهد، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى، علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين، لم أقف على سنة ولادته في الكتب التي ترجمت له، واختُلف كثيرًا في سنة وفاته، فقيل: 373، وهو الأشهر، وقيل: 375، وقيل: 383، وقيل: 393هـ، رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته.(1)

❖ **حياته العلمية :**

برع الإمام السمرقندي في علومٍ كثيرة، فإلى جانب التفسير، ألّف في الفقه، والعقيدة، وغيرها، وقد ترك موروثًا من المصنفات، منها: "تفسير القرآن"، و"عمدة العقائد"، و"بستان العارفين"، و"خزانة الفقه"، و"تنبيه الغافلين"، و"شرح الجامع الصغير"، و"دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة وأهوال النار"، و"عيون المسائل"، وتأسيس النظائر"، وغيرها، درس على يد طائفة من العلماء، منهم: أبو جعفر الهنداوي، ومحمد بن الفضل البخاري، ومن تلامذته: محمد بن عبدالرحمن الترمذي.(2)

المطلب الثاني: التعريف بتفسيرة "بحر العلوم" (بإيجاز).

تفسير الإمام السمرقندي من الكتب الهامة في التفسير، وهو يُعد من كتب التفسير بالمأثور، وإن كان فيه قدرٌ غير يسير من التفسير بالرأي، والكتاب المطبوع يحمل اسم "بحر العلوم"، وبعد البحث في كتب التراجم التي ترجمت له لم أجد هذا المسمى، وإنما يذكر أصحاب التراجم اسم "تفسير القرآن" و "تفسير القرآن العظيم"، جاء كتابه رحمه الله متوسطاً بين الطول الممل، والقصر المخل، ويقع في ثلاث مجلدات وفق طبعة دار الفكر، والتي بتحقيق: د. محمود مطرجي، ومن منهجه في تفسيره، نجده يسوق الروايات عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ولا يتعقبها، وقل ما يتعرض للقراءات، ويحتكم للغة أحياناً، ويقوم بتفسير القرآن بالقرآن إن وجد تفسير آية قرآنية لآية أخرى، ويروي القصص الإسرائيلي، ويروي أحياناً عن الضعفاء كالكلبي والسدي، وغيرهم(3) .

المبحث الأول:

---

(1) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: 12/ 333، وتاج التراجم في طبات الحنفية، ابن قطلوبغا: ص 310، والأعلام، الزركلي: 8/ 27.

(2) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: 12/ 333، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين الحنفي: 1/ 196، وتاج التراجم في طبات الحنفية، ابن قطلوبغا: ص 310، وطبقات المفسرين، الداوودي: 2/ 346، وطبقات المفسرين، الأدنه وي: ص 91، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة: 1/ 668، والأعلام، الزركلي: 8/ 27.

(3) ينظر: بحر العلوم السمرقندي: 1/ 34.

منهج الإمام السمرقندي في نسبة الأقوال إلى المفسرين، وطرق عرضه، من خلال البحث موضوع الدراسة:

المطلب الأول: منهجه في نسبة الأقوال إلى عامة، أو أكثر المفسرين.

إذا نسب المفسر القول إلى "أكثر المفسرين" فهو يريد "جمهور المفسرين" وهاتان اللفظتان قريبتان في المعنى أو تكاد تكون كذلك، وإن كانت اللفظة الثانية أقوى من الأولى وربما العدد المنسوب إليها يكون فيها أكثر، وعندما ينسب المفسر القول إلى "عامة المفسرين" ففي الغالب يريد كل المفسرين، أو إجماعهم، وإذا وُجِد مخالفٌ لهم فهو قليل جداً، فربما يكون واحداً، أو اثنين، أو ممن لا يُعتد بقولهم، ومن خلال تتبعي لمنهج الإمام السمرقندي وجدته التزم بذلك في أكثر الأقوال التي نسبها إلى "عامة المفسرين"، أو أكثرهم؛ ولكنّه خالف منهجه في بعض المسائل التي نسبها إلى "عامة المفسرين"، فقد أراد بـ"عامة المفسرين" أكثرهم، أو جمهورهم، ومثال ذلك أنه نسب القول بتفسير "الزيادة" في قوله تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}**[سورة يونس:26]. بالنظر إلى وجه الله تعالى إلى عامة المفسرين، وقد خالف بعض المفسرين تفسير "الزيادة" بالنظر إلى وجه الله تعالى، أو اقتصار تفسيرها على هذا المعنى فقط، وتعددت أقوالهم في المعنى المراد، كما سيأتي بيانه عند دراسة المسألة التاسعة، وخالف منهجه في بعض المسائل التي نسبها إلى "أكثر المفسرين" ومثال عند تفسير قوله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ} فقد نسب القول بأن إخوة يوسف هم الذين باعوه إلى أكثر المفسرين، وبعد دراسة المسألة وجدت اختلافاً بين المفسرين، وانقسموا في ذلك إلى فريقين، ولكل منهم وجهة نظر معتبرة، ولم أجد من نسب ذلك إلى أكثر المفسرين غير الإمام السمرقندي، كما سيأتي بيانه عند دراسة المسألة العاشرة.

ومن عادة الإمام السمرقندي إذا ذكر لفظة "عامة المفسرين" فإنه يريد جميعهم، فقد وجدته ينسب القول في المسألة الواحدة تارة إلى "جميع المفسرين"، وتارة إلى "عامة المفسرين"، كما في تفسير قوله تعالى: **{وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ}**[سورة الأنعام:73] ، إذ قال: (وروي عن أبي عبيدة أنه قال معناه يوم ينفخ الأرواح في الصور يعني في الأجسام وهذا خلاف أقاويل جميع المفسرين لأنهم كلهم قالوا هو نفخ إسرافيل في الصور) [1], وعند تفسير

---

(1) بحر العلوم: 1/ 479.

قوله تعالى: **{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}**[سورة الكهف: 99]، قال:(قال أبو عبيدة تنفخ الأرواح في الصور، وقال عامة المفسرين: يعني ينفخ إسرافيل في الصور).(1)

المطلب الثاني: طرق عرضه في نسبة الأقوال إلى عامة، أو أكثر المفسرين.

تنوعت طرق عرض الإمام السمرقندي للأقوال التي نسبها إلى عامة، أو أكثر المفسرين، فكانت طريقته في عرض الأقوال كالتالي:

1) يذكر تارةً اسم صاحب القول المخالف لعامة، أو أكثر المفسرين، وتارةً لا يذكره، وإنما يكتفي بقوله: قال بعضهم. ومثال ذلك، قوله: (وقال الكلبي رواية في قوله تعالى: **{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**[سورة النساء:140]. نُسخ بقوله تعالى: **{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[سورة الأنعام:69]. وقال عامة المفسرين: إنها محكمة وليست بمنسوخة)(2). وقوله: (فدعا لهم موسى فبعث الله إليهم طيرًا كثيرًا وذلك قوله تعالى: **{وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}**[سورة البقرة:57]. وهو السماني وهو طير يضرب إلى الحمرة، قال بعضهم: كان طيرًا يأتيهم مشويًا، قال عامة المفسرين: إنهم كانوا يأخذونها ويذبحونها)(3).

2) يذكر أحيانًا حجة القول المخالف لقول عامة المفسرين، أو أكثرهم، ويرد عليه، ويذكر حجة قول عامة المفسرين، مثال ذلك، قوله: (قال تعالى:**{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**[سورة النساء:164].قال بعضهم معناه أنه قد أوحى إليه وإنما سماه كلاماً على وجه المجاز، كما قال في آية أخرى **{أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ}**[سورة الروم:35]. يعني يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائط كذا وكذا. وقال عامة المفسرين وأهل العلم: إن هذا كلام حقيقةً لا مجازاً؛ لأنه قد أكده بالمصدر حيث قال: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}** والمجاز لا يؤكد لأنه لا يقال قال الحائط قولاً فلما أكده بالمصدر نفى عنه المجاز) (4).

---

(1) بحر العلوم: 2/ 363.
(2) بحر العلوم: 1/ 374.
(3) بحر العلوم: 1/ 81.
(4) بحر العلوم: 1/ 382، 383.

3) يستدل أحياناً بالأحاديث على قول عامة، أو أكثر المفسرين، ويذكر بعض أسماء السلف المؤيدين لقولهم، ومثال ذلك، قوله: (قوله تعالى:**{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى}**[سورة يونس:26]. للذين وحدوا الله وأطاعوه في الدنيا لهم الجنة في الآخرة **{وَزِيَادَةٌ}** يعني فضلاً، قال عامة المفسرين: هي النظر إلى وجه الله تعالى. وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وغيرهم. قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد، قال حدثنا أبو العباس السراج، قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال حدثنا عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى}** قال إذا دخل أهل الجنة الجنة ودخل أهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إنّ لكم عند ربكم موعداً يحب أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو الموعد؟ ألم يثقل موازيننا وبيض وجوهنا وأدخلنا الجنة ونجانا من النار، قال: ثم يكشف الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله تعالى).[1]

4) يصدّر الكلام في الغالب بالقول المخالف لعامة المفسرين، أو أكثرهم، ثم يذكر بعده قولهم، وأحياناً يصدر الكلام بقولهم، ثم يذكر القول المخالف لهم، ومثال ذلك، قوله: (قال بعضهم: الآلاء اتصال النعمة، والنعماء دفع البلية، وقال بعضهم: على ضد هذا، وقال أكثر المفسرين: الآلاء والنعماء بمعنى واحد).[2]، وقوله:(وقال عامة المفسرين في قوله: **{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ}** [سورة ص:33].فطفق مسحاً بالسوق والأعناق، يعني يضرب سوقها وأعناقها، وقال بعضهم: لم يعقر ولكن جعل على سوقهن وعلى أعناقهن سمةً وجعلها في سبيل الله، قال: لأن التوبة لا تكون بأمر منكر) .[3]

---

(1) بحر العلوم: 2/ 112. سيأتي تخريج الحديث عند دراسة المسألة التاسعة.
(2) بحر العلوم: 1/ 542.
(3) بحر العلوم: 3/ 159، 160.

المبحث الثاني:

دراسة الأقوال التي نسبها الإمام السمرقندي إلى عامة، أو أكثر المفسرين، وفيه اثنتا عشرة مسألة:

المسألة الأولى: الهيئة التي أُنزل عليها طائر السلوى من السماء، في قوله تعالى: **{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}**[سورة البقرة:57].

قال الإمام السمرقندي: (... فدعا لهم موسى فبعث الله إليهم طيرًا كثيرًا وذلك قوله تعالى: **{وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}** وهو السماني وهو طير يضرب إلى الحمرة، قال بعضهم: كان طيرًا يأتيهم مشويًا. قال عامة المفسرين: إنهم كانوا يأخذونها ويذبحونها)[(1)].

دراسة المسألة:

حكى ابن عطية إجماع المفسرين على أن "السلوى" طيرٌ، وخطّأ الهذلي حينما ظن أن المراد بالسلوى: العسل، في قوله: (وقاسمها بالله عهداً لأنتم ... ألذّ من السلوى إذا ما نشورها)[(2)]. واستنكر القرطبي دعوى الإجماع التى حكاها ابن عطية، فقال: (ما ادعاه من الإجماع لا يصح وقد قال المؤرج –أحد علماء اللغة والتفسير–: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، سمي به؛ لأنه يسلى به)[(3)] وبمثل قول الهذلي، والمؤرج، قال الجوهري[(4)]، وجمهور العلماء من السلف والخلف على أنه طير[(5)]، ومن قالوا أنّه طير اختلفوا، فقال بعضهم: هو طائر"السُّمَانَي" روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، والشعبي، وعكرمة، والحسن البصري، ووهب بن منبه، وقتادة، ومقاتل بن سليمان[(6)]، وروي عن ابن مسعود، وابن عباس، رضي الله عنهم، والربيع بن أنس، أنه طائر

(1) بحر العلوم: 1/ 81.
(2) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 149.
(3) الجامع لأحكام القرآن: 1/ 407.
(4) المرجع السابق: ص 408.
(5) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: 4/ 75.
(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: 2/ 96، 97، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 115، 116، وتفسير مقاتل بن سليمان: 1/ 109.

يشبه السماني[1]، وعن أبي العالية، وقتادة، أنه طير حمر[2]، وعن عكرمة، أنه طير أكبر من العصفور[3]، وعن وهب بن منبه، أنه طير سمين مثل الحمام[4]، وعن السدي، أنه طير أكبر من السماني[5].

وما ذهب إليه الإمام السمرقندي من أن عامة المفسرين على أن بني إسرائيل كانوا يأخذونها ويذبحونها، مروي عن قتادة، والسدي، ووهب بن منبه، وعبدالرحمن بن زيد[6]، وإليه ذهب (الزمخشري، والرازي، والنسفي، وأبو السعود، وابن عجيبة، والشوكاني)[7]، ومال الماتريدي إلى القول بأنها كانت مشوية، فقال: (يذكّرهم عز وجل عظيم منته عليهم، وجزيل عطائه لهم؛ ببعثهم بعد الموت، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى من السماء لهم، وذلك مما خصوا به دون غيرهم، ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة، فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة، من نحو البعث بعد الموت ومن الظل الممدود، والطير المشوي، والثياب التي كانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ؛ فذلك كله مما وعد لنا في الجنة، وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون)[8]. وذكر بعض المفسرين عَرَضًا القول بأنها كانت تأتيهم مشويةً دون أن يختاروه، أو ينسبوه إلى أحد[9].

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري: 2/ 96، 97، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 115، 116.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 115، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: 1/ 200.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 116.

(4) ينظر: جامع البيان، الطبري: 2/ 96، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 116.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري: 2/ 96.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 1/ 115، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 1/ 272.

(7) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: 1/42، ، ومفاتيح الغيب، الرازي: 3/ 522، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: 1/ 91، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، 1/ 104، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة: 1/ 109، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني: 1/ 103.

(8) تأويلات أهل السنة: 1/ 467.

(9) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان: 1/ 346، ورح البيان، إسماعيل حقي: 1/ 142، والتحرير والتنوير،

وبعد البحث في أقوال طائفة كثيرة من السلف والخلف من المفسرين ممن تعرضوا لتفسير الآية لم أجد من تطرق إلى الهيئة التي نزل عليها طائر السلوى من السماء سوى ما ذكرت من الأقوال، ولا يوجد نصٌ من القرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو قولٌ صحيحٌ منسوبٌ لأحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم يبيّن لنا الهيئة التي نزل عليها طائر السلوى، وبما أن القول بأنهم كانوا يذبحونها منسوبٌ إلى عامة المفسرين فهو الأولى في بيان المراد من الآية، والله أعلم.

المسألة الثانية: القول بالنسخ في قوله تعالى: **{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**[سورة النساء:140].

قال الإمام السمرقندي: (وقال الكلبي روايةً في قوله تعالى:**{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}** نُسخ بقوله تعالى: **{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[سورة الأنعام:69]. وقال عامة المفسرين: إنها محكمة وليست بمنسوخة)[(1)].

دراسة المسألة:

ذهب بعض السلف إلى أنّ قوله تعالى: **{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[سورة الأنعام:69] منسوخٌ بقوله تعالى: **{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**[سورة النساء:140] رُوي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، ومقاتل بن سليمان، وابن جُريج[(2)]، واختاره المقري، وابن حزم، والكرمي[(3)]، وذهب بعض المفسرين إلى أن الآية محكمةٌ لأنها خبرٌ والخبر لا يدخله النسخ، كالنحاس، وابن الجوزي، ونسبه الخازن إلى الجمهور[(4)].

ابن عاشور: 1/ 510، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الألوسي: 1/ 264.

(1) بحر العلوم: 1/ 374.

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 5/ 177، وجامع البيان، الطبري: 11/ 440، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 4/ 1317، والناسخ والمنسوخ، النحاس ص 417، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 3/ 278.

(3) ينظر: الناسخ والمنسوخ، المقري: ص 86، والناسخ والمنسوخ، ابن حزم: ص 37، وقلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، الكرمي: ص 105.

(4) ينظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس ص 417، ونواسخ القرآن، ابن الجوزي: 357/1، ولباب

ووافق الإمام القرطبي، والقاسمي الإمام السمرقندي بأنّ الآية محكمةٌ في قول عامة المفسرين[1]، ويرى الشوكاني أنها محكمةٌ عند جميع أهل العلم.[2]

وأما قول الكلبي بأن قوله تعالى:**{فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}** نُسخ بقوله تعالى **{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[سورة الأنعام:69]. فلم أجد له موافقًا من المفسرين، فالآية التي قال إنها ناسخة في سورة الأنعام وهي مكية، والآية التي قال إنها منسوخة في سورة النساء وهي مدنية.

المسألة الثالثة: القول بالمجاز في تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام، في قوله تعالى: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**[سورة النساء:164].

قال الإمام السمرقندي: (قال بعضهم معناه: أنه قد أوحى إليه، وإنما سماه كلامًا على وجه المجاز، كما قال في آية أخرى: **{أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ}**[سورة الروم:35]. يعني يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائط كذا، وكذا، وقال عامة المفسرين وأهل العلم: إن هذا كلامٌ حقيقةً لا مجازًا لأنه قد أكّده بالمصدر حيث قال :**{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**[سورة النساء:164]. والمجاز لا يُؤكّد لأنّه لا يُقال: قال الحائط قولاً، فلمّا أكّده بالمصدر نفى عنه المجاز)[3].

دراسة المسألة:

هذه المسألة من المسائل الهامة، فقد انزلقت فيها عقولٌ وأقلام، وتحيّرت فيها آراء وأفهام، وسُفكت بسببها دماءٌ كثيرة، وجرت من أجلها محنٌ عظيمة، وانحدرت فيها عقائدُ بعض الناس، وأثارت فتنًا كثيرة في تاريخنا الإسلامي، وهي تقودنا لمسألة القول بخلق القرآن، فقد

التأويل في معاني التنزيل، الخازن: 2/ 123.

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 418، ومحاسن التأويل: 3/ 375.

(2) ينظر: فتح القدير: 1/ 608.

(3) بحر العلوم: 1/ 382، 383 .

ظهر هذا الفكر وانتشر على يد فرقة المعتزلة في عهد الخليفة العباسي المأمون الذي تبنى هذه الفكرة ودافع عنها وسُجن لأجلها علماء الأمة، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، الذي عارض القول بخلق القرآن فسُجن وعُذّب، فثبّته الله حتى أُزيلت هذه الغمّة عن المسلمين، وقد بيّن الإمام ابن تيمة رحمه الله موقف أهل السنة والجماعة، فقال: (فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة أنّ القرآن كلام الله؛ منزّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)[1]. وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: (وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق) [2].

وفي مسألتنا، لعل السبب الذي من أجله ذهب بعضهم إلى القول بأن كلام الله تعالى لموسى عليه السلام لم يكن على الحقيقة وإنما على وجه المجاز، هو ما رُوي عن يحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعي أنهم كانوا يقرأون:**{وَكَلَّمَ اللَّهَ}**. بالنصب على أن موسى هو المكلم، وفي هذه القراءة تحريف للفظ القرآن ومعناه[3].

وهنا أكد الله تعالى تكليمه لموسى عليه السلام بالمصدر **{تَكْلِيمًا}**، وقد أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازًا، وإنما هو على الحقيقة[4]، والقاعدة التي يتفق عليها المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام هي أن التوكيد بالمصدر ينفي احتمال المجاز، وفي التوكيد بالمصدر رفعٌ لما توهمه المعطلة، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم من أن تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام، إلهامٌ، أو إشارةٌ، أو تعريفٌ للمعنى النفسي بشيء غير التكليم[5]. والأشاعرة يثبتون الكلام لله تعالى؛ لكنهم يثبتون كلامًا لا حقيقة له، فيقولون: يتكلم، لكن لا بحرف ولا بصوت، وهذا القول تبناه الإمام الماتريدي عند تفسيره للآية، فقال: (لا أن كلمه بكلامه، ولا ندري كيف كان؟ سوى أنا نعلم أنه أحدث صوتاً لم يكن، فأسمع موسى ذلك كيف شاء، وما شاء، وممن شاء؛ لأن كلامه الذي هو موصوف به في الأزل لا

(1) مجموع الفتاوى: 3/ 401.
(2) شرح العقيدة الطحاوية: 1/ 185.
(3) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: 2/ 137، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 2/ 474.
(4) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 1/ 484.
(5) ينظر: التفسير القيم، ابن القيم: ص 41.

يوصف بالحروف، ولا بالهجاء، ولا بالصوت) [1]. وهذا مخالفٌ لقول أهل السنة الذين يقولون إنّ الله تعالى تكلّم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه.

قال الإمام القرطبي: (قالت اليهود: ذكر محمد الأنبياء ولم يذكر موسى؛ فنزلت: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}**. "تكليمًا" مصدرٌ معناه التأكيد؛ يدل على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلامًا في شجرةٍ فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلمًا) [2].

فكلام الله تعالى لموسى عليه السلام حقيقةٌ ليس مجازًا كما يدّعي أهل الأهواء، وقد رُوي ذلك عن كثير من السلف، منهم: ابن عباس رضي الله عنهما، ووائل بن داؤود، ومقاتل بن سليمان، ونوح بن أبي مريم[3]، وأئمة الدين كلهم مجمعون على ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة من أنّ الله تعالى كلّم موسى بصوته، وأن الله تكلم بالقرآن بصوته[4].

وهذا هو القول الفصل في هذه المسألة، وهو مذهب السلف والخلف من أهل السنة والجماعة.

المسألة الرابعة: المراد "بالنصارى" في قوله تعالى:**{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}**[سورة المائدة:82].

قال الإمام السمرقندي: (قال بعضهم: إنما أراد به النصارى الذين كانوا في ذلك الوقت؛ لأنهم كانوا أقل مظاهرة على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام، وقال أكثر المفسرين: إن المراد به النصارى الذين أسلموا. وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله: **{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا}**[سورة المائدة:82].)[5].

دراسة المسألة:

(1) تأويلات أهل السنة: 420/3.
(2) الجامع لأحكام القرآن: 6/ 18.
(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 1/ 423، وجامع البيان، الطبري: 9/ 403، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 4/ 1120، وأخبار أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني: 1/ 223.
(4) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: 3/ 452.
(5) بحر العلوم: 1/ 434.

أخرج الطبراني، عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: (لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَنَعْتُ طَعَامًا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **«مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟»** قُلْتُ: صَدَقَةٌ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: **«كُلُوا»** ، وَلَمْ يَأْكُلْ، ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ طَعَامًا فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: **«مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟»** ، قُلْتُ: هَدِيَّةٌ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: **«كُلُوا»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ النَّصَارَى؟ قَالَ: **«لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا فِيمَنْ أَحَبَّهُمْ»** ، فَقُمْتُ وَأَنَا مُثْقَلٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}** [سورة المائدة: 82]، حَتَّى بَلَغَ: **{تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}** [المائدة: 83] ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: **«يَا سَلْمَانُ إِنَّ أَصْحَابَكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ»**(1) .

وأخرج النسائي، عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: (نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه،**{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}** [سورة المائدة: 83] (2)

ووردت عدة روايات أخرى في سبب نزول الآية، فقد رُوي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وعطاء، والسدي، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمن بن الحارث، وعروة بن الزبير: أنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابه لما اسلموا، وروي عن قتادة أنها نزلت في قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى فلما جاء محمدٌ صلى الله عليه وسلم آمنوا به، وعن قتادة، ومجاهد أنها نزلت في الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، وعن مقاتل بن سليمان أنها نزلت في أربعين رجلاً منهم اثنان وثلاثون قدموا من الحبشة، وثمانية قدموا من الشام(3) .

(1) المعجم الكبير: 6/ 249. قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان). ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 9/ 343.

(2) السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة المائدة، ح 11083، 10/ 84. قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر العقيلي وهو ثقة). ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 9/ 419.

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 3/ 349، وجامع البيان، الطبري: 10/ 499- 501 وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 4/ 183- 1185، وأسباب نزول القرآن، الواحدي: ص 204.

ذكر الإمام ابن جُزي أن الآية نزلت في النجاشي، وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سبعون رجلاً، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشي، لكنه ذكر أنّ في الآية إخبارٌ أنّ النصارى أقرب إلى مودة المسلمين، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر، وبين أن في قوله تعالى:**{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً}** [سورة المائدة:82] تعليل لقرب مودتهم[1]، وفي قوله هذا عمومٌ لجميع النصارى ولم يقيّده بمن آمن منهم، وإلى نحو قوله ذهب الإمام ابن كثير، فقال عند تفسيره للآية: (أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودةٌ للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة)[2].ومال إلى القول بالعموم من المفسرين: الزجاج، والقشيري، والزمخشري، والبقاعي[3].

وقد علل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بأن في النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، وليس في دينهم الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادًا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟ وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وبسبب وجود القسيسين والرهبان يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيرًا من المشركين وأقرب مودةً من اليهود والمشركين[4].

ولعل حجة من عمّم، وجودَ قرينةٍ تدلُّ على العموم بعد الإطلاق في قوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}**[سورة المائدة:82]. إذ قال بعدها:**{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً}**، وقرينةٍ أخرى من جهة شدة العداوة وقرب المودة.

(1) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 1/ 241.
(2) تفسير القرآن العظيم: 3/ 167.
(3) ينظر: معاني القرآن، الزجاج: 2/ 200، ولطائف الإشارات، القشيري: 1/ 433، والكشاف، الزمخشري: 1- 668- 670، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 6/ 272.
(4) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: 3/ 110.

وذهب أكثر المفسرين إلى القول بعدم التعميم وأنّ ذلك خاصٌ بمن آمن منهم كما ورد من أقوال السلف في سبب نزول الآية، وممن قال به: الطبري، والثعلبي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، وابن عادل، والشوكاني[(1)].

ويدعم القول بعدم العموم –بالإضافة إلى أسباب النزول– السياق القرآني، فقد صور لنا موقف هذه الفئة من الناس بقوله تعالى:**{وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ}**[سورة المائدة: 83] ولا يكتفون بمعرفة الحق، بل يصرحون بإيمانهم،**{رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}**[سورة المائدة: 83] ويمضي السياق القرآني ليبين لنا صفات هذه الفئة، فيبيّن لنا المصير الذي انتهوا إليه، فيقول: **{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** [سورة المائدة: 85].

فمن قال بالعموم جعل السياق مفرقًا، فأوله في عموم النصارى وآخرة في فئة أخرى منهم، والأصل في ذلك أن العلاقة متحدة بين أول الكلام وآخره، ويرتبط بعضهما ببعض، ومن قال بعدم العموم جعل أول الآية من قبيل العام المراد به الخصوص.

والذي يظهر والله أعلم أن الآية لا تشمل عموم النصارى، بل هي في طائفة مؤمنة منهم، وقد أكد هذا الإمام الطبري حين قال: (أنّ الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: "إنا نصارى"، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس ودادًا لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمِّ لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه)[(2)].

المسألة الخامسة: حقيقة نزول المائدة في قوله تعالى: **{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ**

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري: 10/ 501، 502، والكشف والبيان، الثعلبي: 4/ 97، والنكت والعيون، الماوردي: 2/ 58، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: 1/ 331، ومعالم التنزيل، البغوي: 3/ 85، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 2/ 227، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 6/ 255، ولباب التأويل، الخازن: 2/ 69، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 7/ 475، وفتح القدير، الشوكاني: 2/ 79.

(2) جامع البيان، الطبري: 10/ 501، 502.

الرَّازِقِينَ.قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ }[سورة المائدة: 114، 115].

قال الإمام السمرقندي: (قال بعضهم: هذه كلمة تهديد ولم ينزّل عليهم المائدة... وقال عامة المفسرين: إن المائدة قد أُنزلت عليهم)[1].

دراسة المسألة:

اختلف في نزول المائدة، فذهب أكثر السلف إلى إثبات نزولها، وقد روي هذا القول عن: عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وابن عباس، وكعب الأحبار، وميسرة بن مسروق، وراذان الكندي، رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطية العوفي، ووهب بن منبه، وقتادة بن دعامة، وإسحاق بن عبدالله، ومحمد بن السائب، وهشام الكلبي، وأبي عبدالرحمن السلمي[2]. واختار هذا القول: الطبري، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وأبي حيان، وابن جزي، وابن كثير، والشوكاني[3]. وهو منسوب إلى جمهور المفسرين[4].

ومما احتجوا به حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أُنْزِلَتِ المَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا لِغَدٍ، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**»[5]

---

(1) بحر العلوم: 1/ 434.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 11/ 227- 230، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 4/ 1246- 1249، ومعالم التنزيل، البغوي: 3/ 119.

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري: 11/ 231، وتفسير القرآن، السمعاني: 81/2، ومعالم التنزيل، البغوي: 3/ 119، والكشاف، الزمخشري: 1/ 694، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: 1/ 604، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 6/ 369، ومدارك التنزيل، النسفي: 1/ 486، ولباب التأويل، الخازن: 2/ 92، والبحر المحيط، أبي حيان: 4/ 414، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: 1/ 251، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 3/ 231، وفتح القدير، الشوكاني: 106/2.

(4) ينظر: معالم التنزيل، البغوي: 3/ 119، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 2/ 261، وزاد المسير، ابن الجوزي: 1/ 602، ومفاتيح الغيب، الرازي: 12/ 464، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 6/ 369، ولباب التأويل، الخازن: 2/ 92، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: 1/ 251، والجواهر الحسان، الثعالبي: 2/ 439، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 3/ 231، وفتح القدير، الشوكاني: 106/2.

(5) سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ح 3061، 5/ 260، قال الترمذي: (هذا حديث غريب قد رواه أبو عاصم، وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خلاس، عن عمار بن ياسر، موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، حدثنا حميد بن مسعدة قال: حدثنا سفيان بن حبيب، عن سعيد بن أبي عروبة، نحوه «ولم يرفعه وهذا أصح من

واحتجّوا أيضاً بدلالة ظاهر السياق: **{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ}**. وهذا وعدٌ بالإنزال جزماً من غير تعليقٍ على شرط، فوجب حصول هذا النزول[1].

ورُوي عن مجاهد بن جبر، والحسن البصري أن المائدة لم تنزل وإنما هو مثل يضرب[2]. ولم أقف على من قال بهذا القول غيرهما.

وحجة هذا القول أنهم لما سمعوا قول الله: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}** استغفروا وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، وأيضًا وصف المائدة بكونها عيدًا لأولهم وآخرهم فلو نزلت لبقي ذلك العيد إلى يوم القيامة[3].

وذكر الإمام ابن كثير مستَنَدًا لهذا القول، حين قال :(وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد، والله أعلم)[4].

وانتقد الإمام ابن عطية قول من قال: لا يصح أن لا تنزل المائدة لأن الله تعالى أخبر أنه منزلها، فقال: (هذ غير لازمٍ لأنّ الخبر مقرونٌ بشرط يتضمنه قوله:**{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ}** وسائغ ما قال الحسن)[5].

الذي يظهر والله أعلم أن القول بنزول المائدة هو القول الراجح في هذه المسألة إذ يدعمه ظاهر السياق، والآثار، ودلالة العقل، وعليه أكثر السلف، وجمهور المفسرين، قال الإمام الطبري: (والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه، وإنما قلنا ذلك، للخبر الذي روينا[6] بذلك عن رسول الله

حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا. قال الألباني: (ضعيف الإسناد). ينظر: ضعيف سنن الترمذي: 1/ 373.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 12/ 464، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: 3/ 230.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 11/ 231، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 4/ 1248.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 12/ 464.

(4) تفسير القرآن العظيم: 3/ 231.

(5) المحرر الوجيز: 2/ 262.

(6) حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد تقدم ذكره في حجج من أثبت نزول المائدة.

صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم، غير من انفرد بما ذكرنا عنه. وبعدُ، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه، ولا يقع في خبره الْخُلف، وقد قال تعالى ذكره مخبرًا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك: **{إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ}**، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره: **{إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ}**، ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: **{إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ}**، ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}**، ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة. وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك)[1].

أما حجة من نفى نزول المائدة فيمكن الجواب عنها بأن قوله تعالى: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}** شرط وجزاء لا تعلق له بقوله:**{إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ}** وأما قولهم: بأن المائدة وصفت بكونها عيدًا لأولهم وآخرهم فلو نزلت لبقي ذلك العيد إلى يوم القيامة، فالجواب عنه بأن يوم نزولها كان عيدًا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم[2].

المسألة السادسة: معنى: "الآلاء" في قوله تعالى:**{فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[سورة الأعراف:69].

قال الإمام السمرقندي: (قال بعضهم: الآلاء اتصال النعمة، والنعماء دفع البلية، وقال بعضهم: على ضد هذا، وقال أكثر المفسرين: الآلاء والنعماء بمعنى واحد)[3].

دراسة المسألة:

ذُكرت كلمة "آلاء" في ثلاث سور من القرآن الكريم، فقد وردت مرتين في سورة الأعراف، في قوله تعالى: :**{فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[سورة الأعراف:69]. وقوله تعالى: **{فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}**[سورة الأعراف:74]، وذكرت مرة واحدة في

(1) جامع البيان: 11/ 231، 232.
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 12/ 464.
(3) بحر العلوم: 1/ 542.

سورة النجم، في قوله تعالى:**{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}**[سورة النجم:55]، وذكرت واحد وثلاثين مرة في سورة الرحمن وتكررت نفس الآية، قال تعالى: **{ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }**[سورة الرحمن:13].

و"الآلاء" في اللغة: النِّعَمُ وَاحِدُهَا أَلْيٌ وإِلْيٌ وَأَلَيٌ[1]، و"النعماء" من النِّعْمَةُ وهي الْيَدُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْمِنَّةُ وَمَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْكَ. وَكَذَا "النُّعْمَى" فَإِنْ فَتَحْتَ النُّونَ مَدَدْتَ فَقُلْتَ: "النَّعْمَاءُ". وَ "النَّعِيمُ" مِثْلُهُ. وَفُلَانٌ وَاسِعُ "النِّعْمَةِ" أَيْ وَاسِعُ الْمَالِ[2].

وحينما تعرض المفسرون رحمهم الله لتفسير كلمة "آلاء" في سورتي الأعراف والنجم، لم يفسروها بغير النعم، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة، والسدي، ومقاتل بن سليمان، وعبدالرحمن بن زيد[3]، وهو قول عامة المفسرين كما ذكر الإمام السمرقندي، وفي أن المراد بالآلاء: النعم، يستدل بعض المفسرين[4] بحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: **(خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: « لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ»)**[5] .

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّه قال: **(إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأ سورة الرحمن، أو قُرئت عنده، فقال « ما لِيَ أَسْمَعُ الجنّ أَحْسَنَ جَوَابا**

(1) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: 10/ 443، ولسان العرب، ابن منظور: 15/ 414.
(2) ينظر: مختار الصحاح، الرازي: ص 314.
(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 2/ 45، وجامع البيان، الطبري: 12/ 506، 22/ 556، وتفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم: 5/ 1510.
(4) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: 9/ 179، وتفسير القرآن، السمعاني: 5/ 324، وزاد المسير، ابن الجوزي: 4/ 209، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: 14/ 101.
(5) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب: ومن سورة الرحمن، ح 3291، 5/ 399، قال الترمذي:) هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد). وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، ح 3766، 2/ 515، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وقال الذهبي في تعليقه على المستدرك: (على شرط البخاري ومسلم).

لِرَبِّها مِنْكُمْ؟» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: « ما أتَيْتُ على قَوْلِ اللهِ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ؟ إلا قالت الجنّ: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنا نُكَذِّبُ»[1]

وعند تفسيرها في سورة الرحمن، اختلفوا ففسرها بعضهم بالنعم، كابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري، وقتادة، وفسرها عبدالرحمن بن زيد، والكلبي بالقدرة[2]، وقد التزم الطبري تفسيرها بالنعم في كل الموارد التي ذكرت فيها إلا عند تفسيره لقوله تعالى:**{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }**[سورة الرحمن:37، 38]. فقد فسرها بالقدرة، إذ يقول:(يقول تعالى ذكره: فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس–على ما أخبركم بأنه فاعل بكم– تكذّبان).[3]، وكذلك فعل الإمام الرازي، فقال: (أن الآية مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة).[4] وقال في موضع آخر: (هذه بيان عجائب الله تعالى لا بيان النعم)[5]، وفسرها بالقدرة أيضًا: ابن عادل، فقال في تفسير الآية: (أي: بأي قدرة ربكما تكذبان، وإنما كان تكذيبهم أنهم جعلوا له في هذه الأشياء التي خرجت من قدرته وملكه شريكاً يملك معه، ويقدر معه، فذلك تكذيبهم)[6].

وذهب القشيري إلى أنّ المراد بالألاء: النعم الظاهرة، والمراد بالنعماء: النعم الباطنة[7]، وقد أنكر هذا إسماعيل حقي، وجعلهما من المترادفات[8].

ولم أقف على قولٍ لأحد المفسرين بأن المراد بالآلاء: اتصال النعمة، والنعماء: دفع البلية، ولا ضد هذا، وقد ورد في بعض آيات سورة الرحمن دفع البلية وإيصال النعمة وسماها الله

---

(1) جامع البيان: 22/ 23. ذكر الألباني الروايتين: رواية جابر، ورواية ابن عمر رضي الله عنهم، وقال: (الحديث بمجموع الطريقين لا ينزل عن رتبة الحسن). ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشي من فقهها: 5/ 184.
(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 22/ 23، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 18/ 311.
(3) جامع البيان: 23/ 51.
(4) مفاتيح الغيب: 29/ 349.
(5) جامع البيان: 29/ 352.
(6) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 18/ 311.
(7) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري: 1/ 545.
(8) ينظر: روح البيان، بن حقي: 9/ 292.

تعالى "آلاءً" كما في قوله تعالى: **{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ .يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ.فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**[سورة الرحمن:43- 45]. وقوله تعالى: **{وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ. فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ. وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }**[سورة الرحمن:10- 13].

ويرى الفراهي أن كلمة "الآلاء" تشمل في أصل معناها عجائب لطف الله تعالى وبطشه وقدرته، والنعمة ليست إلا وجهاً واحداً من وجوه معناها، وقد غلب هذا الوجه على الكلمة فيما بعد لأن غالب أفعال الله تعالى من الرحمة والنعمة، فهي عنده بمعنى "الفعال العجيبة"، وعلل ذلك بأنه لما كان غالب فعال الله تعالى الرحمة ظنوا أن الآلاء هي النعم، والرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما حملتهم على هذا، ولكن السلف إذا سئلوا أجابوا حسب السؤال والمراد المخصوص في موضعٍ مسؤول عنه، واستدلّ على ذلك بأدلةٍ من القرآن الكريم وكلام العرب، أما القرآن فقد استدلّ بقوله تعالى: **{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى.هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى}**[سورة النجم:55، 56]. بعد ذكر إهلاك الأقوام، وبقوله تعالى في سورة الرحمن **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** في وصف يوم القيامة وعذاب جهنم في الآيات (33 – 45) آخرها قوله تعالى: **{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**. وأما كلام العرب، فاستدلّ بشواهدَ كثيرةٍ منها، قول طرفة بن العبد يمدح الحارث بن همام بن مرة:

كاملٍ يحمل آلاء الفتى ... نبَهٍ سيد سادات خِضَم(1)

وقول الأجدع الهمداني يصف فرسه:

ورضيتُ آلاءَ الكميت فمن يُبع ... فرساً فليس جوادنا بمباع(2)

ومنها قول فضالة بن زيد العدواني:

وفي الفقر ذلّ للرقاب وقلما ... رأيتُ فقيراً غيرِ نكسٍ مذممِ

(1) ديوان طرفة بن العبد: ص 75. و"النبه": المعروف الشريف، و"الخِضَم": السَّيِّدُ الحَمُولُ الجَوادُ المِعْطاءُ الْكَثِيرُ المعروفِ والعطيةِ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: 12/ 183، 13/ 545.
(2) الكمت: لونٍ من الألوان من ذلك الكُمْتة، وهي لونٌ ليس بأشقَرَ ولا أدهم. يقال: فرسٌ كُمَيْت. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 5/ 137.

يلام وإن كان الصواب بكفه ... ويُحمد آلاءُ البخيلِ المدرهَمِ[1]

أي يحمدون صفات البخيل وفعاله.

ويرى الدكتور محمد أجمل الإصلاحي محقق كتاب الفراهي أن هذا التحقيق والتفسير الدقيق لكلمة "الآلاء" يعد فتحاً علمياً في دراسة لغة القرآن، وتاريخ المعجم العربي أيضاً، وبرهان ذلك أن المعجم الكبير الذي أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأول منه سنة 1970 "بعد جهود ربع قرن" لم يزد في تفسيرها على معنى النعمة، فلو لم يحوِ كتاب مفردات القرآن للفراهي إلا تفسير كلمة الآلاء لكفاه شرفاً وتميزاً. [2]

هذا القول جديرٌ بالتأمل، لكن تفسير الألاء بالنعم يرتكز على حديثٍ حسن مرفوع ورد بطريقين، وعلى أقوال الصحابة رضوان الله عنهم، وعليه أكثر المفسرين، ومن قواعد الترجيح عند المفسرين أنه إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره، وقاعدة أخرى تقول: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[3].

المسألة السابعة: شخصية فرعون المعنية في قوله تعالى:**{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}**[سورة الأعراف:103].

قال الإمام السمرقندي: (قوله تعالى: **{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى}** يعني أرسلنا من بعد الرسل الذين ذكرهم في هذه السورة، ويقال: ثم بعثنا من بعد هلاكهم موسى، وهو موسى بن عمران **{بِآيَاتِنَا}** يعني: اليد البيضاء والعصا **{إِلَى فِرْعَوْنَ}** وهو ملك مصر، واسمه: وليد بن مصعب، ورُوي عن وهب بن منبه، أنه قال: كان فرعون في وقت يوسف فعاش إلى وقت موسى فبعث الله تعالى إليه موسى ليأخذ عليه العهد والحجة. وأنكر عليه ذلك عامة

(1) النكس: قَلْبُ الشَّيْءِ عَلَى رأَسه، نَكَسَه يَنْكُسُه نَكْساً فانْتَكَسَ. ونَكَسَ رأَسَه: أَماله، ونَكَّسْتُه تَنْكِيساً. وَفِي التنزيل: **{ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ}**[سورة السجدة:12]..والناكِسُ: المُطأْطئ رأْسَه. ونَكَسَ رأْسَه إِذا طأْطأَه مِنْ ذُلٍّ. والمدرهم: السَّاقِطُ مِنِ الكِبَرِ، وَقِيلَ: هُوَ الكبيرُ السِّنِّ أَيّاً كَانَ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: 6/ 241، 12/ 199.

(2) ينظر: مفردات القرآن- نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، الفراهي: ص 69-71 .

(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي: ص 74، 81.

المفسرين، وقالوا: هو كان غيره وكان جبارًا ظهر بمصر واستولى عليها فأرسل الله تعالى إليه موسى، فذلك قوله تعالى:**{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}**.) [1].

دراسة المسألة:

ذهب بعض المفسرين إلى أن "فرعون" علمٌ لمن ملك مصر من العمالقة، كقيصر وهرقل لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والتبابعة لمن ملك اليمن، وخاقان لمن ملك الترك، والنمارذة لمن ملك اليونان والنجاشي لمن ملك الحبشة[2].

واختلفوا في اسم فرعون الذي ملك مصر في زمن موسى عليه السلام، فرُوي عن ابن إسحاق أن اسمه: الوليد بن مصعب، وعن ابن جريج أن اسمه: مصعب بن ريان، وعن وهب بن منبه أن اسمه: قابوس، وقيل: فنطوس، وقيل: مغيث، وقيل: منفتاح [3].

وعند تفسير قوله تعالى: **{ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ}**[سورة غافر:34]. اختلفوا في المعني بيوسف، فقال بعضهم هو: يوسف بن أفراييم[4] بن يوسف بن يعقوب، وقال بعضهم هو: يوسف بن يعقوب، عليهما السلام.[5]

وبناءً على أن المعني هو يوسف الصديق بن يعقوب، ذهب وهب بن منبه، ومكي بن أبي طالب إلى أن فرعون الذي في زمن يوسف هو فرعون الذي في زمن موسى، لقول موسى عليه السلام: **{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ}** فهم يرون أن فرعون عمَّر أكثر من أربعمائة سنة والمدة بين دخول يوسف ودخول موسى مصر أكثر من أربعمائة سنة[6].

(1) بحر العلوم: 1/ 551.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 2/ 38، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 2/ 435، ومفاتيح الغيب، الرازي: 505/3، والبحر المحيط، أبي حيان: 1/ 312، وإرشاد العقل السليم، أبي السعود: 1/ 99.

(3) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: 2/ 435، ومفاتيح الغيب، الرازي: 3/ 505، واللباب، ابن عادل: 2/ 56، والبحر المحيط، أبي حيان: 312/1، ونسبه إلى أكثر المفسرين، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: 1/ 282، وتفسير المراغي: 9/ 21.

(4) وقيل: يوسف بن إبراهيم.

(5) ينظر: الكشاف، الزمخشري: 4/ 166، ومفاتيح الغيب، الرازي: 27/ 513، ومدارك التنزيل، النسفي: 3/ 210، واللباب، ابن عادل: 17/ 49،

(6) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون

وبناء على القول الآخر وهو أن المعني يوسف آخر وليس يوسف الصديق، ذهب كثير من المفسرين إلى أن فرعون الذي في زمن موسى ليس فرعون الذي في زمن يوسف الصديق، وأن فرعون الذي في زمن يوسف الصديق اسمه: الريان بن الوليد، وفرعون الذي في زمن موسى من أولاده، والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء[(1)].

قال الإمام ابن عطية: (ومن قال إن يوسف المبعوث الذي أشار إليه موسى في قوله:**{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ}** هو غير يوسف الصديق فليس يحتاج إلى نظر، ومن قال إنه يوسف الصديق فيعارضه ما يظهر من قصة يوسف، وذلك أنه ملك مصر بعد عزيزها، فكيف يستقيم أن يعيش عزيزها إلى مدة موسى، فينفصل أن العزيز ليس بفرعون الملك إنما كان حاجبا له) [(2)].

ويرى بعض المؤرخين أن الفراعنة توارثوا الملك من زمن يوسف إلى زمن موسى عليهما السلام، فكان الملك في زمن يوسف: الريان بن الوليد العملاقي، ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقي، ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقي، ثم ملك بعده الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام [(3)].

ومن خلال تتبعي للآيات الواردة في قصة يوسف عليه السلام لم أجد ذكرًا للفراعنة ولا إشارةً إلى أنّ من حكم مصر في عهد يوسف عليه السلام كان من الفراعنة، كما قال تعالى: **{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}**[سورة يوسف:43]. وقال تعالى: **{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ**

علومه، مكي بن أبي طالب: 4/ 247 ، واللباب، ابن عادل: 2/ 56.

(1) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: 8/ 275، والكشاف، الزمخشري: 2/ 453، ومفاتيح الغيب، الرازي: 505/3، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 3/ 159، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 15/ 313، والبحر المحيط، أبي حيان: 1/ 312، وغرائب القرآن، النيسابوري: 1/ 282، وروح البيان، إسماعيل حقي: 4/ 230، والبحر المديد، ابن عجيبة: 5/ 132.

(2) المحرر الوجيز: 2/ 435.

(3) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري: 1/ 130، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي: 1/ 58.

اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ}[سورة يوسف:50]. ففيها نجد ورود كلمة "الملك" ولم نجد كلمة "فرعون"، والقرآن الكريم دقيق في إطلاق كلماته، فلم يقل: وقال فرعون إني أرى سبع بقرات، ولم يقل: وقال فرعون ائتوني به. مما قد يوحي بأن "فرعون" اسم علم، وليس صفة، إذ ورد في القرآن (74) مرة من دون ال التعريف، والله أعلم.

وجميع الروايات السابقة والأقوال لم يدل عليها القرآن الكريم ولم تثبت في خبرٍ صحيح، وربما ترتكز كثيرًا على الروايات الإسرائيلية، والروايات الإسرائيلية يجوز التحدث بها، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» [1]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ} [سورة البقرة: 136]** » [2]. فما لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على صدقه وكذبه فإنه موقوفٌ لا يكذب ولا يصدق، ولقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية الموقف من الإسرائيليات، فقال: (هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح، و الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته)[3].

المسألة الثامنة: القول بتقديم "الناس" في قوله تعالى: **{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ}**[سورة يونس:1، 2].

قال الإمام السمرقندي: (قال تعالى: **{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا}** لأنّ أهل مكة كانوا يتعجبون ويقولون: **{أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا}**[سورة الإسراء: 94]. فنزلت: **{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ}**. يقول أعَجِب أهلُ مكة أن أختار عبداً من عبيدي وأرسله إلى عبادي من جنسهم وحسبهم حتى يقدروا أن ينظروا إليه فيعرفونه ولا ينكرونه، ثم بين ما أوحى الله تعالى إليه فقال: **{أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ}**. يعني خوف أهل مكة بما في القرآن من الوعيد، ويقال في الآية

(1) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل: ح 3461، 4/ 170.
(2) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله باعربية وغيرها: ح 7542، 9/ 157.
(3) مجموع الفتاوى: 366/13.

تقديم، ومعناه: تلك آيات الكتاب الحكيم للناس أكان عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس، وقال عامة المفسرين: على ظاهر التنزيل)[1].

دراسة المسألة:

لم يتطرق غالب المفسرين إلى التقديم في الآية، ففسروها على ظاهرها، ومن تطرق لذلك تكلم عن التقدير، وجعل ذلك بسبب الاختلاف في الإعراب، فإما أن تكون كلمة "للناس" متعلق بمحذوف على أنه حال من "عجبًا" لأنه في الأصل صفة له، أو متعلق ب "عجبًا"، ولا يضر كونه مصدرًا؛ لأنه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيرهما، أو أن تكون كلمة "عجبًا" مصدر واقع موقع اسم الفاعل، أو اسم المفعول، ومتى كان كذلك جاز تقديم معموله، أو هو متعلق بـ "كان" الناقصة على رأي من يجيز فيها ذلك، وهذا مرتب على الخلاف في دلالة "كان" الناقصة على الحدث، فإن دلت فيجوز وإلا فلا، أو هو متعلق بمحذوف على التبيين، والتقدير في الآية: أكان إيحاؤنا إلى رجلٍ منهم عجبًا لهم [2]، أو تكون "كان" تامة و"عجبًا" فاعل، والمعنى: أحدث للناس عجب لأن أوحينا.[3]

وقد جعل النحاس، والزمخشري، وابن عطية، وأبي حيان، والنيسابوري "عجبًا" خبر كان، واسمها: أن أوحينا[4].

واختاره أبو البقاء العكبري، فقال: ("أن أوحينا" : اسم كان، وخبرها "عجبًا"، و "للناس" : حال من عجب; لأن التقدير: أكان عجبا للناس، وقيل: هو متعلق بكان. وقيل: هو يتعلق بعجب على التبيين. وقيل: "عجب": هنا بمعنى معجب، والمصدر إذا وقع موقع اسم مفعول، أو فاعل، جاز أن يتقدم معموله عليه كاسم المفعول)[5].

(1) بحر العلوم: 2/ 102.
(2) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: 6/ 144، واللباب، ابن عادل: 10/ 253، 254.
(3) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان: 9/6.
(4) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: 2/ 139، 140، والكشاف، الزمخشري: 2/ 326 ، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 3/ 102، والبحر المحيط، أبي حيان: 9/6، وغرائب القرآن، النيسابوري: 554/3.
(5) التبيان في إعراب القرآن: 2/ 664.

ومن قدّم "عجباً" جعلها اسم كان، وخبرها: أن أوحينا، على قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أكان للناس عجب.(1)

أما ما نسبه الإمام السمرقندي إلى من قال بأن في الآية تقديم، ومعناه: تلك آيات الكتاب الحكيم للناس، أكان عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس، لم أقف على من قال به، ولم أجد من تطرق إليه من السلف والمفسرين، ولعل ذلك لقلة من قال به، أو أنه من الأقوال التي لا يعتد بها، ويوحي بذلك تصدير الإمام السمرقندي له بـ ويقال، والله أعلم.

المسألة التاسعة: المراد "بالزيادة" في قوله تعالى:**{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }** [سورة يونس:26].

قال الإمام السمرقندي:(قوله تعالى:**{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى}** للذين وحدوا الله وأطاعوه في الدنيا لهم الجنة في الآخرة **{وَزِيَادَةٌ }**. يعني فضلاً، قال عامة المفسرين: هي النظر إلى وجه الله تعالى)(2).

دراسة المسألة:

اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في المراد بالزيادة المذكورة في قوله تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** على ثمانية أقوال:

القول الأول: النظر إلى وجه الله تعالى. وهو مرويٌ عن أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبدالرحمن بن سابط، وعكرمة، وعامر بن سعد، والحسن البصري، ومجاهد، وقتادة، وأبي إسحاق السبيعي، وكعب بن عجرة، والضحاك بن مزاحم، وأبي سنان، وأبي الجوزاء، وعطاء، وسعيد بن المسيب، والسدي، ومقاتل بن سليمان.(3)

واختاره: عبدالرزاق الصنعاني، وحكى القشيري إجماع السلف عليه، والبغوي، ونسبه ابن

(1) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: 2/ 139، 140.
(2) بحر العلوم: 2/ 112.
(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 2/ 236، وجامع البيان، الطبري: 15/ 63- 69، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 6/ 1944، 1945، والكشف والبيان، الثعلبي: 5/ 129.

عطية للجمهور، والقرطبي، وابن جزي، والنيسابوري، والثعالبي ونسباه للجمهور، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي، وأبي بكر الجزائري.(1)

القول الثاني: مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها. وهو مرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلقمة بن قيس، والحسن البصري.(2) واختاره المراغي(3).

القول الثالث: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب. وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.(4)

القول الرابع: مغفرة من الله ورضوان. وهو مروي عن مجاهد.(5)

القول الخامس: أن ما أعطاهم في الدنيا، لا يحاسبهم به يوم القيامة. وهو مروي عن ابن زيد.(6)

القول السادس: سحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم من كل النوادر، وتقول لهم: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يريدون شيئاً إلا مَطَرَتهم. وهو مروي عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه.(7)

القول السابع: الدوام. ذكره الماوردي ونسبه إلى ابن بحر.(8)

القول الثامن: ما يشتهونه. ذكره الماوردي.(9)

---

(1) ينظر: تفسير عبدالرزاق: 2/ 174، ولطائف الإشارات، القشري: 2/ 91، ومعالم التنزيل، البغوي: 4/ 130، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 3/ 155، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 8/ 330، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: 1/ 355، وغرائب القرآن، النيسابوري: 3/ 139، والجواهر الحسان، الثعالبي: 3/ 244، وفتح القدير، الشوكاني: 2/ 502، ومحاسن التأويل، القاسمي: 6/ 19، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي: ص 362، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبي بكر الجزائري: 2/ 466.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 70، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 6/ 1946.

(3) ينظر: تفسير المراغي: 11/ 95.

(4) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 69، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 6/ 1945.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 70، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 6/ 1945.

(6) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 71، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 6/ 1946.

(7) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: 5/ 130.

(8) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: 2/ 433.

(9) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: 2/ 433.

القول التاسع: ما يزيد عن المثوبة تفضلاً. وهو قول الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود.[1]

ومن المفسرين من يرى أن معناها عام، فهي عندهم تشمل النظر إلى وجهه الكريم وغيره من عطاءات الله المختلفة لأهل الجنة، قال الإمام الطبري: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إيّاه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غُرفا من لآلئ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: "وزيادة"، الزيادات على "الحسنى"، فلم يخصص منها شيئاً دون شيء، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله، فأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يُعَمَّ، كما عمَّه عز ذكره) [2].

وقال الإمام ابن كثير: (وقوله: **{وَزِيَادَةٌ}** هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادةٌ أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته)[3].

ويدلُّ على القول الأول النقل والعقل، أما النقل: فما رواه صهيب رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }**، قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا**

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري: 2/ 342، وأنوار التنزيل، البيضاوي: 3/ 110، وإرشاد العقل السليم، أبي السعود: 4/ 138.
(2) جامع البيان: 15/ 71.
(3) تفسير القرآن العظيم: 4/ 262.

مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ " قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ»[1]

ويؤيد هذا قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**[سورة القيامة: 22، 23]

وأما العقل: فإن المعروف من المسلمين أن المراد بالحسنى: الجنة، وما فيها من المنافع والتعظيم، فوجب أن يكون المراد من الزيادة أمراً مغايراً لكل ما في الجنة من المنافع والتعظيم، فدل ذلك على أن المراد من هذه الزيادة: الرؤية)[2].

وأشار الإمام ابن عطية إلى قوة القول الثاني وهو مضاعفة الحسنات، فقال: (وهذا قولٌ يعضّده النظر ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول، وطريق ترجيحه أن الآية تتضمن اقتراناً بين ذكر عمال الحسنات، وعمال السيئات، فوصف المحسنين بأن لهم حسنى وزيادة من جنسها، ووصف المسيئين بأن لهم بالسيئة مثلها فتعادل الكلامان، وعبر عن الحسنات بـ{الحسنى} مبالغةً، إذ هي عشرة) [3].

ويحسُن هنا أن أذكر مذهب المعتزلة الذين لا يرون حمل الزيادة على الرؤية لوجوه عندهم، وهي:

1) أن الدلائل العقلية دلّت على أن رؤية الله تعالى ممتنعة.

2) أن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه، ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة.

3) أن الحديث المروي يُوجب التشبيه؛ لأن النظر: عبارةٌ عن تقليب الحدقة، إلى جهة المرئي، وذلك يقتضي كون المرئي في الجهة؛ لأن الوجه اسمٌ للعضو المخصوص، وذلك يوجب التشبيه، فثبت أن هذا اللفظ، لا يمكن حمله على الرؤية، فوجب حمله على شيء آخر.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى: ح 297، 1/ 163. ومسند أحمد، ح 18941، 31/ 270.
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 8/ 290.
(3) المحرر الوجيز: 3/ 155، 116.

وقد أجاب أهل السنة عن هذه الوجوه، فقالوا: أما قولهم: إن الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى، فهذا لا يصح؛ لأنه ثبت بالخبر الصحيح إثبات رؤية الله في الدار الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ، قَالَ: « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»[(1)]

وأما قولهم: إنّ الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه. فهذا إن كان المزيد عليه مقدرًا بمقدار معين، كانت الزيادة من جنسها، وإذا كان مقدرًا بمقدار غير معين، وجب أن تكون الزيادة مخالفةً له، فلفظ: "الحسنى": وهي الجنة، مطلقة، وهي غير مقدرة بقدر معين، فتكون الزيادة شيئاً مغايرًا لما في الجنة، وأما قولهم: إن الحديث يدل على إثبات الوجه، وذلك يوجب التشبيه. فإن هذا لا يوجب التشبيه؛ لأن الله تعالى ليس بجسم، ولم يقم الدليل على امتناع الرؤية، فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده.[(2)]

وبناء على ما تقدم فالقول الأول يستند على حديث صحيح جاء نصًا في تفسير الآية، وعليه الجمهور الغالب من المفسرين، ومن قواعد الترجيح عند المفسرين أنه إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره.[(3)].

المسألة العاشرة: المعني بفاعل" شروه" في قوله تعالى: **{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}**[سورة يوسف:20].

قال الإمام السمرقندي:(قوله تعالى: **{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ}** يعني باعوه ..، وقال بعضهم لم يبعه إخوته ولكن الذين وردوا الماء وجدوه في البئر وأخرجوه من البئر فباعوه بثمن بخس ....، وقال عامة المفسرين: إن إخوته باعوه)[(4)].

دراسة المسألة:

(1) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل السجود، ح 806، 1/ 160، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ح 299، 1/ 163.
(2) ينظر: اللباب، ابن عادل: 10/ 305- 307.
(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي: ص 74.
(4) بحر العلوم: 2/ 186.

قوله تعالى:{**وَشَرَوْهُ**} هذا من الأضداد ، تقول: شَرَيْتُ الشيءَ أَشْرِيه شِرَاءً إِذَا بِعْتَه وَإِذَا اشْتَرَيْتَه[1].

وفي مسألتنا إن كان بمعنى باعوه، ففي الفاعل قولان، وإن كان بمعنى اشتروه، فالمراد: السيارة الذين مروا به.

وأكثر المفسرين على أن معنى "شروه": باعوه، وقد اختلفوا في فاعل "شروه" على قولين:

القول الأول: أن الذي باعه إخوته. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، والضحاك[2]، واختارة: الطبري، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني[3].

القول الثاني: أن الذي باعه السيارة الذين مروا به وهو في البئر. وهو مروي عن الحسن البصري، وقتادة[4]، واختاره: القشيري، وأبي حيان، والشوكاني، والقاسمي، والمراغي، والصابوني.[5]

وكما تقدم فقد رجح الإمام الطبري القول الأول وعلل ذلك بقوله: (أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم، بادعائهم أنَّه بضاعة، ولم يقولوا ذلك إلا رغبةً فيه أن يخلُص لهم دونهم، واسترخاصًا لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه:{**بِثَمَنٍ بَخْسٍ**}. ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين، لم يكن لقيلهم لرفقائهم: "هو بضاعة" معنىً، ولا كان لشرائهم إياه، وهم فيه من الزاهدين وجه، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم; لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراهٍ مكرهٍ له عليه، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول:"هو بضاعة

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: 14/ 428.
(2) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 8، 9.
(3) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 8، والكشف والبيان، الثعلبي: 5/ 205، والوجيز، الواحدي: ص 541، وتفسير القرآن، السمعاني: 3/ 17.
(4) ينظر: جامع البيان، الطبري: 15/ 10، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: 7/ 2115،
(5) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري: 2/ 175، والبحر المحيط، أبي حيان: 6/ 253، وفتح القدير، الشوكاني: 3/ 16، ومحاسن التأويل، القاسمي: 6/ 162، وتفسير المراغي: 12/ 124.

لم أشتره"، مع زهده فيه؛ بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين لنفاستها عنده، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح)[1].

وقوّى هذا القول الإمام ابن كثير، فقال: (والأول أقوى؛ لأن قوله: **{وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}** إنما أراد إخوته، لا أولئك السيارة؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فيرجح من هذا أن الضمير في **{وَشَرَوْهُ}** إنما هو لإخوته)[2].

وقد رُوِي أن إخوته لما رجعوا إلى أبيهم وأعلموه رجع بعضهم إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف، ويقفوا على الحقيقة من فقده فلما علموا أن الوراد قد أخذوه جاؤوهم فقالوا: هذا عبد أبق لأمنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم، فقارهم يوسف على هذه المقالة خوفًا منهم، ولينفذ الله أمره فحينئذ أسره إخوته إذ جحدوا إخوته فأسروها، واتخذوه بضاعةً، أي متجرًا لهم ومكسبًا.[3]

وحجة أصحاب القول الثاني هو دلالة سياق الآيات وسباقها على أن المراد بذلك بعض السيارة، فإن من وجده في البئر من السيارة أسرَّ ذلك ولم يخبر باقي القافلة، فلما قدم مصر باعه بثمن بخس بسبب فقره، وعدم معرفته بقيمة هذا الملتقط، أما إخوة يوسف فقد ألقوه في الجب، وانطلقوا، وهو الذي يدل عليه كلامهم حيث قال أحدهم، وقد أخذوا برأيه: **{لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ }**[سورة يوسف:10]. لم يقل نبيعه، فكان كما أراد هذا القائل، ثم هو كان قد ألقي في الجب، وقد تبرأ منه إخوته، فكيف يأخذون ثمناً عن تسليمه؟[4]

وعلى القول بأن المراد بـ:**{وَشَرَوْهُ}** أي: اشتروه، يكون المعنى: أن القوم اشتروه عندما ادعى إخوة يوسف أنه عبدٌ لهم وقد أبق، فكانوا فيه من الزاهدين، لأنهم علموا بقرائن الحال أن إخوة يوسف كذابون في قولهم إنه عبدنا، وربما عرفوا أيضاً أنه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفاً من الله تعالى، إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة لأنهم اشتروه بثمن قليل مع أنهم أظهروا من

(1) جامع البيان: 15/ 10.
(2) تفسير القرآن العظيم: 4/ 377.
(3) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: 3/ 229.
(4) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي: 2/ 422، حاشية رقم (1).

أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين، وغرضهم أن يتوصلوا بذلك إلى تقليل الثمن، ويحتمل أيضاً أن يقال إن الإخوة لما قالوا: إنه عبدنا أبق صار المشتري عديم الرغبة فيه[1].

الاختلاف بين المفسرين رحمهم الله كبير في المعني بالذين باعوا يوسف عليه السلام، هذا على القول بأن معنى **{وَشَرَوْهُ}** أي: باعوه، وهم قد اختلفوا أيضًا في فعل "شروه" هل يراد به البيع أم الشراء لكونه من الأضداد، وقد نسب الإمام السمرقندي القول الأول إلى أكثر المفسرين، ولم أقف على من نسبه إلى أكثر المفسرين غير الإمام السمرقندي، ولم يرد نص صحيح يبين المعني بالذين باعوه، فالله أعلم أإخوته باعوه ام السيارة.

المسألة الحادية عشر: المعني بـ "موسى" في قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ}**[سورة الكهف: 60].

قال الإمام السمرقندي:(قال تعالى:**{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ}**.أي لتلميذه وهو يوشع بن نون، وقال أهل الكتاب: إنما هو موسى بن إفراتيم بن يوسف بن يعقوب. وذُكر عن القتبي أنه قال: زعم أهل التوراة أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وقال عامة المفسرين: هو موسى بن عمران الذي هو أخو هارون)[2].

دراسة المسألة:

القول بأن المعني هو موسى بن عمران أخو هارون عليهما السلام مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منسوب إلى جمهور المفسرين[3]، منهم: الطبري، والثعلبي، والماوردي، والقشيري، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن جزي، والخازن، وأبي حيان، وابن كثير، وابن عادل، والنيسابوري، والثعالبي، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي، وأبي بكر الجزائري، والصابوني.[4] ومستند هذا القول الحديث الصحيح المروي

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 18/ 434.
(2) بحر العلوم: 2/ 353.
(3) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: 3/ 321، ومعالم التنزيل، البغوي: 5/ 183، وزاد المسير، ابن الجوزي: 3/ 95، ومفاتيح الغيب، الرازي: 21/ 77، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 11/ 9، ولباب التأويل، الخازن: 3/ 169، وغرائب القرآن، النيسابوري: 4/ 444، وحكى الشوكاني اتفاق أهل العلم على أن المراد هو يوسف بن عمران. ينظر: فتح القدير: 3/ 352.
(4) ينظر: جامع البيان، الطبري: 18/ 55، والكشف والبيان، الثعلبي: 6/ 180، والنكت والعيون،

عن سعيد بن جبير، قال: (قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) قَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ،

الماوردي: 3/ 321، ولطائف الإشارات، القشيري: 2/ 406، ومعالم التنزيل، البغوي: 5/ 183، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 3/ 527، وزاد المسير، ابن الجوزي: 3/ 95، ومفاتيح الغيب، الرازي: 21/ 477، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 11/ 9، وأنوار التنزيل، البيضاوي: 3/ 286، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: 1/ 469، ولباب التأويل، الخازن: 3/ 169، والبحر المحيط، أبي حبان: 7/ 198، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 5/ 173، واللباب، ابن عادل: 12/ 520، وغرائب القرآن، النيسابوري: 4/ 444، والجواهر الحسان، الثعالبي: 3/ 532، وفتح القدير، الشوكاني: 3/ 352، ومحاسن التأويل، القاسمي: 7/ 47، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي: ص 481، وأيسر التفاسير، أبي بكر الجزائري: 3/ 271، وصفوة التفاسير، الصابوني: 2/ 181.

فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا – فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا –، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ – قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ – فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: "هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ" قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»). (1)

وانتقد الإمام ابن عطية من قال بخلاف ذلك، ورجّح بأن المراد هو موسى بن عمران أخو هارون مستنداً لظاهر القرآن والسنة والتاريخ، فقال: (ومُوسى هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن، إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران ولو كان في هذه الآية غيره لبينه، وقالت فرقة منها نوف البكالي أنه ليس موسى بن عمران، وهو موسى بن مشنى، ويقال ابن منسى، وأما "فتاه" فعلى قول من قال موسى بن عمران، فهو يوشع بن نون بن إفراييم بن يوسف بن يعقوب، وأما من قال هو موسى بن مشنى فليس الفتى يوشع بن نون، ولكنه قول غير صحيح، رده ابن عباس، وغيره) (2).

واحتُج أيضاً على ان المراد هو موسى بن عمران: بأن الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، ولو كان المراد شخصاً آخر مسمًى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفةٍ توجب الامتياز وإزالة الشبهة(3).

ورُوي عن نوف البكالي، ومحمد بن إسحاق، وعبيد بن تعلي، وكعب الأحبار أن المراد موسى آخر ليس موسى النبي كليم الله.(1)

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، 122، 1/ 35، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، ح 6313، 7/ 103.
(2) المحرر الوجيز: 3/ 527.
(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 21/ 477.

وحجة أصحاب هذا القول هي أن الله تعالى بعد أن أنزل التوراة على موسى عليه السلام وكلّمه بلا واسطة وحاجّ خصمه فرعون بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة ممن هو أقل منه علماً.(2)

وأُجيب عن هذا بأنّه لا يبعد أن العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض الأشياء فيحتاج في تعلّمها إلى من دونه وهذا أمرٌ متعارفٌ معلوم.(3)

وبناءً على ما تقدّم من ذكر الأقوال وأدلتها فإن القول الأوّل هو الراجح، إذ يدعمه حديثٌ صحيح، وعليه جمهور المفسرين، ومن قواعد الترجيح عند المفسرين: أنه إذا ثبت الحديثُ وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره.(4)

المسألة الثانية عشر: المراد بـ"النفخ" في قوله تعالى:**{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}**[سورة الكهف: 99].

قال الإمام السمرقندي: (قال أبو عبيدة تُنفخ الأرواح في الصور، وقال عامة المفسرين: يعني ينفخ إسرافيل في الصور)(5).

دراسة المسألة:

قرأ الحسن البصري، وعياض، ومعاذ القارئ، وأبو مجلز، وأبو المتوكل: **{وَنُفِخَ فِي الصُّوَرِ}** بالفتح وهي قراءةٌ شاذة، وقرأ الجمهور بالسكون، واختلفوا، فقال بعضهم: الصور جمع صورة، ينفخ فيها روحها فتحيا، كالصوف جمع صوفة، والعرب تقول:"نفخ في الصور" و"نفخ الصور"، وأيدوا قولهم بالقراءة السابقة، وهذا القول مرويٌّ عن الحسن البصري، وقتادة، وأبي عبيدة (6).

---

(1) ينظر: تفسير إسحاق البستي: ص 142، وتفسير القرآن، العز بن عبدالسلام: 2/ 254، ولباب التأويل، الخازن: 3/ 169.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 21/ 477.

(3) ينظر: المرجع السابق.

(4) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي: ص 74.

(5) بحر العلوم: 2/ 363.

(6) ينظر: جامع البيان، الطبري: 11/ 463، وزاد المسير، ابن الجوزي: 2/ 45، ومفاتيح الغيب، الرازي: 13/ 28، ولباب التأويل، الخازن: 2/ 125، والدر المصون، السمين الحلبي: 4/ 693.

وعند تفسير قوله تعالى: **{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}** [سورة الأنعام: 73]. قال الفراء: (كن فيكون، يقال إنّه للصوَر خاصة، أي: ويوم يقول للصوَر كن فيكون).[1]

ولا يفهم من ذلك أن بعض المسلمين ينكرون أن الله تعالى خلق قرنًا ينفخ في إسرافيل عليه السلام، وأن هذا القرن يُمسى بالصور، فقد ورد ذلك في آياتٍ عدة من كتاب الله تعالى، ولكنهم اختلفوا في تفسير بعض الآيات التي ورد فيها "الصور" فذهب بعضهم إلى أن المراد: الصوَر وليس الصُّور، ومن هذه الآيات آية مسألتنا.

والجمهور[2] على أن الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، وممن اختار هذا القول: الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، والخازن، وأبي حيان، وابن كثير، والثعالبي، وأبي السعود، والشوكاني، والقاسمي، وأبي بكر الجزائري، والصابوني.[3]

واستدلّ الجمهور على صحة ما ذهبوا إليه بحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما الصور؟ قال: **«قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»**.[4] وبحديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»**.[5]

---

(1) معاني القرآن: 1/ 340.

(2) نسبه إلى الجمهور ابن الجوزي، والنيسابوري، والثعالبي. ينظر: زاد المسير: 2/ 45، وغرائب القرآن: 3/ 100، والجواهر الحسان: 2/ 483 .

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري: 11/ 463، ومعالم التنزيل، البغوي: 3/ 157، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 4/ 272، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 7/ 20، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: 1/ 475، ولباب التأويل، الخازن: 2/ 125، والبحر المحيط، أبي حيان: 4/ 557، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 5/ 200، والجواهر الحسان، الثعالبي: 2/ 483، وإرشاد العقل السليم، أبي السعود: 9/ 89، وفتح القدير، الشوكاني: 4/ 178، ومحاسن التأويل، القاسمي: 4/ 398، وأيسر التفاسير، أبي بكر الجزائري: 3/ 377، وصفوة التفاسير، الصابوني: 3/ 80.

(4) سنن أبي داؤود، كتاب: السنة، باب: ذكر البعث والصور، ح 4742، 7/ 121، قال محققو سنن أبي داؤود: (إسناده صحيح). وسنن الترمذي، أبواب الزهد، باب: ما جاء في شأن الصور، ح 2430، 4/ 620، واللفظ له، وقال: (هذا حديث حسن وقد روى غير واحد عن سليمان التيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه). وسنن النسائي الكبرى، كتاب: التفسير، سورة الكهف، ح 11250، 10/ 166. قال الألباني: (صحيح). ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته: 2/ 718.

(5) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الصور، ح 2431، 4/ 620، واللفظ له، وقال: (هذا حديث حسن). وسنن النسائي الكبرى، كتاب: التفسير، سورة آل عمران، ح 11016، 10/ 54. قال الألباني: (صحيح). ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته: 2/ 718. والحديص صححه الألباني، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: 3/ 65، 66.

وفي ردهم على أبي عبيدة ومن تبعه، قالوا: إن في قولهم تحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه لأن الله تعالى قال: **{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}**[سورة غافر: 64] **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}**[سورة الكهف: 99]. فمن قرأها: **{ونُفِخ في الصُّوَرِ}** أي: بالفتح، وقرأ: **{فَأَحْسَنَ صُوْرَكم}** أي: بالسكون فقد بدل كتاب الله، فكل جمع على لفظ الواحد المذكور سبق جمعه واحده، فواحده بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف، والوبر، والشعر، والقطن، والعشب، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، وإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحده، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا: صوفة وصوف، وبسرة وبسر. كما قالوا: غرفة وغرف، وزلفة وزلف، وأما الصور القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال: واحدته صورة وإنما تجمع صورة الإنسان صوراً لأن واحدته سبقت جمعه.(1)

وأشار الإمام الرازي إلى قوة قول الجمهور، فقال: (ومما يقوي هذا الوجه أنه لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصور لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى نفسه؛ لأن نفخ الأرواح في الصور يضيفه الله إلى نفسه، كما قال: **{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}**[سورة الحجر: 29] وقال: **{فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا}**[سورة الأنبياء:91] وقال: **{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}**[سورة المؤمنون:14] ، وأما نفخ الصور بمعنى النفخ في القرن، فإنه تعالى يُضيفه لا إلى نفسه كما قال: **{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}**[سورة المدثر: 8]، وقال:**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ...ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}** [سورة الزمر:68]).(2)

وجوّز الزجاج كلا القولين، فقال: (وقالوا في الصور قولين: قيل في التفسير: إن الصور اسمٌ لقرنٍ يُنفخ فيه، وقيل: الصور جمع صورة، وكلاهما جائز، وأثبتها في الحديث والرواية أن الصور قرن، والصور جمع صورة: أهل اللغة على هذا)(3).

وقول الجمهور يستند إلى الأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها، ومن قواعد الترجيح المتفق عليها عند المفسرين، أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجحٌ له على ما خالفه(1).

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 13/ 28، 29، والدر المصون، السمين الحلبي: 4، 693، 694.
(2) مفاتيح الغيب، الرازي: 13/ 29.
(3) مفاتيح الغيب، الرازي: 13/ 29.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسّر لي الانتهاء من هذا البحث، وأسألُه سبحانه أن يجعلَه خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به المسلمين، ثم إنّه يُمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات في التالي:

النتائج:

1) براعة الإمام السمرقندي في كثيرٍ من العلوم كالتفسير، والفقه، والعقيدة، وغيرها.
2) كثرة الموروث العلمي الذي تركه الإمام السمرقندي.
3) تنوّع طرق عرض الإمام السمرقندي للأقوال التي ينسبها إلى عامة، أو أكثر المفسرين.
4) اتساق اللفظ القرآني ودقته في الدلالة على المعنى.
5) للدلالة اللغوية أثرٌ واضحٌ في التأويل عند المفسرين.
6) الدلالة النحوية من الدلالات اللغوية التي لا يُستهان بها في بيان المعاني التفسيرية.
7) اشتمال القرآن الكريم على الأضداد، والتي يؤدي فيها اللفظ معنيين مختلفين بدلالة السياق والسباق، وهذه الأضداد من الألفاظ التي توقعها العرب على المعاني المتضادة.
8) من أسباب اختلاف المفسرين دلالة اللفظ القرآني على أكثر من معنى.

التوصيات:

أوصي الباحثين من طلبة الماجستير، والدكتوراة، وغيرهم، بدراسة الأقوال التي ينسبها الأئمة المتقدمون من المفسرين إلى عامة، أو أكثر المفسرين، كالأقوال التي ينسبها الأمام الطبري، أو الثعلبي، أو الماوردي، أو السمعاني، أو البغوي، أو ابن عطية، أو ابن الجوزي، أو القرطبي، وغيرهم من المفسرين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) معاني القرآن وإعرابه: 2/ 264.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد بن محمد الطيب، ط3، السعودية، 1419هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، بيروت، 1415هـ، دار الكتب العلمية.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط1، بيروت، 1422هـ، دار الكتاب العربي.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط1، بيروت، 1410هـ، دار ومكتبة الهلال.
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالعليم بن عبدالسلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، وعبد العزيز بن إبراهيم، وحمدان بن محمد، ط2/ السعودية، 1419هـ، دار العاصمة.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالعليم بن عبدالسلام، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة، 1416هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبدالغفار بن سليمان البنداري، ط1، بيروت، 1406هـ، دار الكتب العلمية.
- ابن سيدة، علي بن إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، بيروت، 2000م، دار الكتب العلمية.
- ابن عادل، عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل بن أحمد بن عبدالموجود، وعلي بن محمد بن معوض، ط1، بيروت، 1419هـ، دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير، تونس، 1984م، الدار التونسية للنشر.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد بن عبدالله القرسي، القاهرة، 1419ه، الناشر: د. حسن عباس زكي.
- ابن عطية، عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام بن عبدالشافي محمد، ط1، بيروت، 1422هـ، دار الكتب العلمية.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام ين محمد هارون، بيروت، 1399هـ، دار الفكر.
- ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم، تاج التراجم، تحقيق: محمد بن خير، ط1، دمشق، 1413هـ، دار القلم.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، بيروت، 1414هـ، دار صادر.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، المدينة، 1424هـ، مكتبة العلوم والحكم.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي بن محمد بن جميل، بيروت، 1420هـ، دار الفكر.
- أبو داؤود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داؤود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامِل قره بللي، ط1، بيروت، 1430، دار الرسالة العالمية.
- أبو عمر الوائلي، طرفة بن العَبْد بن سفيان، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي بن محمد ناصر الدين، ط3، بيروت، 1423، دار الكتب العلمية.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد، تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، بيروت، 1410هـ، دار الكتب العلمية.
- أبي العز الحنفي، محمد بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط10، بيروت، 1417هـ، مؤسسة الرسالة.
- الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقبق: سليمان بن صالح الخزي، ط1، السعودية، 1417هـ، مكتبة العلوم والحكم.
- الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير، تفسير مقاتل بن سليمان، ط1، بيروت، 1423هـ، دار إحياء التراث العربي.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط1، الرياض، 1420هـ، المكتب الإسلامي. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، ضعيف سنن الترمذي، ط1، بيروت،1411هـ، المكتب الإسلامي.
- الألوسي، شهاب الدين محمد بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، 1415هـ، دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1422هـ، دار طوق النجاة.
- البستي، إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي، تفسير البستي، رسالة دكتوراة في تحقيق الكتاب، للباحث: عوض بن محمد بن ظافر العمري، الجامعة الإسلامية بالمدينة.

- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد بن عبد الله النمر، وعثمان بن جمعة ضميرية، وسليمان بن مسلم الحرش، ط4، السعودية، 1417هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، ط1، بيوت، 1418هـ، دار إحياء التراث العربي.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، ومحمد بن فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم بن عطوة عوض، ط2، مصر، 1395هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد بن علي معوض، وعادل بن أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت، 1418هـ، دار إحياء التراث العربي.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق، أبي محمد بن عاشور، ط1/ بيروت، 1422هـ، دار إحياء التراث العربي.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، 1941م، مكتبة المثنى.
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى بن عبد القادر عطا، ط1، بيروت، 1411هـ، دار الكتب العلمية.
- الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ط2، السعودية، 1433هـ، دار ابن الجوزي.
- الحنفي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، بيروت، دار الفكر.
- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد بن علي شاهين، ط1، بيروت، 1415هـ، دار الكتب العلمية.
- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، القاهرة، 1427هـ، دار الحديث.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، 1415هـ، مكتبة لبنان ناشرون.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ط3، بيروت، 1420هـ، دار إحياء التراث العربي.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، نحقيق: عبدالخليل بن عبده شلبي، ط1، بيروت، 1408هـ، عالم الكتب.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، ط15، بيروت، دار العلم للملايين.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، بيروت، 1407هـ، دار الكتاب العربي.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت، 1420هـ، مؤسسة الرسالة.
- السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر، 1424هـ، دار هجر.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1394هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، 1415هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ط1، دمشق، بيروت، 1414هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط1، بيروت، 1421هـ، مؤسسة الرسالة.
- الصابوني، محمد علي بن جميل الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة، 1417هـ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع، تفسير عبدالرزاق، تحقيق: د. محمود بن محمد عبده، ط1، بيروت، 1419هـ، دار الكتب العلمية.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2/ القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تاويل آي القرآن، تجقيق: أحمد بن محمد شاكر، ط1، بيروت، 1420هـ، مؤسسة الرسالة.
- العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي .
- الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، ومحمدعلى نجار، وعبدالفتاح إسماعيل شلبى، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفراهي، عبدالحميد بن عبدالمحسن، الهندي، مفردات القرآن- نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق: د/ محمد بن أجمل الإصلاحي، ط1، 2002م، دار الغرب الإسلامي.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: هشام بن سمير البخاري، الرياض، 1423هـ، دار عالم الكتاب.
- القرطبي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط1، الإمارات، 1429هـ، جامعة الشارقة.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تحقيق: سامي بن عطا حسن، الكويت، 1400هـ، دار القرآن الكريم.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات اهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط1، بيروت، 1426هـ، دار الكتب العلمية.
- الماوردي، علي بن محمد بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- محيي الدين الحنفي، عبدالقادر بن محمد بن نصر الله، طبقات الحنفية، كراتشي، الناشر: مير محمد كتب خانة.
- المراغي، أحمد بم مصطفى، تفسير المراغي، ط1، مصر، 1365، مكتبة مصطفى البابى الحلبي.
- المقري، هبة الله بن سلامة بن نصر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، ط1، بيروت، 1404هـ، المكتب الإسلامي.
- النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، علق عليه: عبد المنعم بن خليل إبراهيم، ط1، بيروت، 1421، دار الكتب العلمية.
- النسائي، أحمد بن سعيب بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن بن عبدالمنعم شلبي، ط1، بيروت، 1421هـ، مؤسسة الرسالة.
- النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بن علوي بديوي، ط1، بيروت، 1419هـ، دار الكلم الطيب.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار الجيل ، ودار الأفاق الجديدة.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، 1414هـ، مكتبة القدسي.
- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط2، الدمام، 1412هـ، دار الإصلاح.
- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي، ط1، بيروت، دمشق، 1415هـ، دار القلم , الدار الشامية.